ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم[1]

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وأمر ولده، واقتسامهم الأرض بعده، ومساكن كلّ فريق منهم، فكان ممّن طغى وبغى، فأرسل الله إليهم رسولاً فكذّبوه، فأهلكهم الله، هذان الحيّان من ولد إرم بن سام بن نوح، أحدهما عاد والثاني ثمود.

فأمّا عاد فهو عاد بن عوض[2] بن إرم بن سام بن نوح، وهو عاد الأولى، وكانت مساكنهم ما بين الشِّحْر وعُمَان وحَضْرَمَوْت بالأحقاف، فكانوا جبّارين طوال القامة لم يكن مثلهم، يقول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً﴾[3]؛ فأرسل الله إليهم هود بن عبد الله بن رباح[4] بن الجلود[5] بن عاد بن عوض[6].

ومن النّاس من يزعم أنّه هود وهو غابر[7] بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لأحدهم ضراً وللآخر ضمور، وللثالث الهبا[8]، فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره وترْك ظلم الناس، فكذّبوه وقالوا: مَنْ أشدُّ منّا قوّةً! ولم يؤمن بهود منهم إلاّ قليل.

وكان من أمرهم ما ذكره ابنُ إسحاق قال[9]: إنّ عاداً أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هوداً، فلمّا أصابهم قالوا: جهّزوا منكم وفداً إلى مكة يستسقون لكم، فبعثوا

---

(١) الطبري ١/٢١٦.

(٢) عند الطبري «عَوْص» بالصاد المهملة.

(٣) الأعراف/٦٩.

(٤) في النسخة (ب) «رياح» بالياء المثنّاة.

(٥) في تاريخ الطبري «الخلود».

(٦) عند الطبري «عوص» بالصاد المهملة.

(٧) عند الطبري «عابر» بالعين المهملة.

(٨) في النسخة (ب) «الهيا» بالياء المثنّاة، وعند الطبري: «يقال لأحدها ضراء، وللآخر صمود، وللثالث الهباء».

(٩) الطبري ١/٢١٩.

قَيْل بن عير[١] ولُقَيم بن هَـزَّال ومَرْثَـد بن سعد، وكـان مسلماً يكتم إسـلامه، وجُلْهُمَـة بن الخيبريّ[٢]، خال معـاوية بن بكـر[٣]، ولقمان بن عـاد بن فلان[٤] بن عـاد الأكبر في سبعين رجلاً من قومهم، فلمّا قدموا مكّة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكّة خارجاً عن الحرم، فأكرمهم، وكانوا أخواله وصهره لأنّ لُقَيْم بن هَزَّال كان تزوّج هزيلة بنت بكر أخت معـاوية فأولدها أولاداً كانوا عند خالهم معاوية بمكّة، وهم: عُبَيد، وعَمْرو، وعـامر، وعُمَيـر، بنو لُقَيم، وهم عاد الآخرة التي بقيت بعـد عاد الأولى، فلمّـا نزلـوا على معاويـة أقامـوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنّيهم الجرادتان، قَيْنَتان لمعاويـة، فلمّا رأى معـاوية طـول مقامهم وتركهم ما أُرسلوا له، شقّ عليه ذلك وقال: هلك أخوالي، واستحيا أن يأمر الوفد بـالخروج إلى ما بُعثوا له، فذكر ذلك للجرادتين فقالتـا[٥]: قلْ شعـراً نغنّيهم به لا يـدرون من قائله، لعلّهم يتحرّكون؛ فقال معاوية:

ألا يـا قَيْـلُ وَيحـكَ قُـمْ فَهَيْنِـمْ لـعَـلّ الله يُصبحُـنـا[٦] غَـمَـامَـا
فـيسـقـي أرضَ عـادٍ إنّ عـاداً قـد أمسـوا لا[٧] يُبينـونَ الكَـلامَـا

في أبيات ذكرها.

والهَيْنَمَة: الكلام الخفيّ.

فلمّا غنّتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القـوم قال بعضهم لبعض: يـا قوم بعثكم قومكم يتغوّثون[٨] بكم من البلاء الذي نزل بهم، فأبطأتم عليهم، فادخلوا الحرمَ واستسقوا لقومكم. فقال مَرْثَد بن سعد: إنّهم والله لا يُسقون بدعائكم، ولكن أطيعـوا نبيّكم، فأنتم تُسقون[٩]، وأظهر إسلامه عند ذلك. فقال جُلْهُمَة بن الخيبريّ، خال معاوية، لمعـاوية بن بكر: احبس عنّا مَرْثَد بن سعد. وخرجـوا إلى مكّة يستسقـون بها لعـاد، فدعـوا الله تعالى لقومهم واستسقوا، فـأنشأ الله سحـائبَ ثلاثـاً بيضاء وحمـراء وسوداء ونـادى منادٍ منهـا: يا قَيْل: اختر لنفسك وقومك. فقال: قـد اخترتُ السحـابةَ السـوداء، فإنّهـا أكثر مـاء، فناداه

---

(١) في تاريخ الطبري «عتر» بالتاء المثنّاة من فوقها.
(٢) في تاريخ الطبري ١/٢١٩ «الخبيري».
(٣) في النسخة (ب) «بكير» وهو تحريف.
(٤) في الأصل «ميلان».
(٥) في الأصل «فقالوا».
(٦) في تـاريخ الـطبـري ١/٢٢٠ «يسقينـا»، والمثبت كمـا في التفسيـر ١٢/٥١٦، وفي مـرآة الـزمـان ١/٢٥٥ «يمنحنا».
(٧) في مرآة الزمان «ما».
(٨) في النسخة (ب): «يتغوّثون».
(٩) في تاريخ الطبري ١/٢٢٠، ٢٢١ «ولكنْ إن أطعتم نبيّكم وأنبتم إليه سُقيتم».

منادٍ: اخترتَ رماداً رِمْدَاداً[1]، لا تُبقي من عاد أحداً، لا ولداً تترك ولا والداً إلاّ جعلته هَمِدا، إلاّ بني اللُّوذيَّة المُهْدَى.

وبنو اللُّوذِيّة: بنو لُقَيْم بن هَزَّال، كانوا بمكّة عند خالهم معاوية بن بكر.

وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب إلى عاد، فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث، فلمّا رأوها استبشروا بها وقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[2]، أي كلّ شيء أُمرتْ به. وكان أوّل من رأى ما فيها وعرف أنّها ريح مُهْلِكة امرأة من عاد يقال لها فهدد[3]، فلمّا رأت ما فيها صاحت وصَعِقت، فلمّا أفاقت قالوا: ماذا رأيتِ؟ قالت: رأيتُ ريحاً فيها كشُهُب النار، أمامها رجال يقودونها، فلمّا خرجت الريح من الوادي قال سبعة رهط منهم، أحدهم الخَلَجان[4]: تعالوا حتى نقوم على شفير الوادي فنردّها. فجعلتِ الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدقّ عنقه، وبقي الخَلَجان فمال إلى الجبل وقال:

لم يَبقَ إلاّ الخَلَجانُ نَفسُه ... يا لكَ مِن يومٍ دَهاني أمسُهُ[5]
بثابتِ الوَطْء شديدٍ وطْسُهُ ... لَوْ لم يجئني جِئتُهُ أُجُسُّهُ[6]

فقال له هود: أسلِمْ تَسلَم. فقال: وما لي؟ قال: الجنّة. فقال: فما هؤلاء الذين في السحاب كأنّهم البُخت[7]؟ قال: الملائكة. قال: أيُعيذني[8] ربّك منهم إن أسلمتُ؟ قال: هل رأيتَ مِلكاً يعيذ[9] من جنده؟ قال: لو فعل ما رضيت.

ثمّ جاءت الريح وألحقته بأصحابه و﴿سَخَّرَهَا ـ الله ـ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾[10]، كما قال تعالى. والحسوم: الدائمة. فلم تدع من عاد أحداً إلاّ هلك، واعتزل هود والمؤمنون في حظيرة لم يصبه ومن معه [منها] إلاّ تليين الجلود[11]، وإنّها لتمرُّ

(١) في الطبعة الأوربية «مدداء».
(٢) الأحقاف/٢٤ ـ ٢٥.
(٣) في الأصل «مهرد»، وفي النسخة (ر)، والطبري ١/٢٢٢ «مَهْدَد».
(٤) في الطبقة الأوربية «قال شعبة رهط من الخلجان».
(٥) في النسخة (ب) «نكسه».
(٦) البيتان عند الطبري ١/٢٢٤.
(٧) في النسخة (ت) «النجت»، وفي الأصل «المنجت» وهو تحريف، والمثبت يتفق مع الطبري.
(٨) في النسخة (ر): «أينقذني».
(٩) في الأصل «يقيد»، وفي النسخة (ر): «ينقذ».
(١٠) الحاقّة/٧.
(١١) في النسخة (ر): «ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين الجلود».

من[1] عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة. وعاد وفد عاد إلى معاوية بن بكر فنزلوا عليه، فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمُصاب عاد وسلامة هود.

قال: وكان قد قيل للُقمان بن عاد: اختر لنفسك إلا أنّه لا سبيل إلى الخلود. فقال: يا ربّ أعطني عُمراً. فقيل له: اختر. فاختار عمر سبعة أنْسُر. فعمّر فيما يزعمون عُمر سبعة أنسر، فكان يأخذ الفَرْخ الذَّكَر حين يخرج من بيضته، حتى إذا مات أخذ غَيره، وكان يعيش كلُّ نسر ثمانين سنة، فلمّا مات السابع مات لُقمان معه، وكان السابع يُسمّى لُبَداً.

قال: وكان عمر هود مائة وخمسين[2] سنة، وقبره بحَضْرَمَوْت، وقيل بالحِجْر من مكّة، فلمّا هلكوا أرسل الله طيراً سُوداً فنقلتهم إلى البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿**فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاّ مَسَاكِنُهُمْ**﴾[3]. ولم تخرج ريح قطّ إلاّ بمكيال إلاّ يومئذٍ، فإنّها عَتَتْ على الخَزَنة، فذلك قوله: ﴿**أُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾[4]. وكانت الريحُ تقلع الشجرة العظيمة بعروقِهَا وتهدم البيتَ على من فيه[5].

وأمّا ثمود فهم ولد ثمود بن جاثر بنِ إرم بن سام، وكانت مساكن ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام، وكانوا بعد عاد قد كَثُروا[6] وكفروا وعتَوا، فبعث الله إليهم صالح بن عبيد بن أسِف بن ماشج[7] بن عبيد بن جادر[8] بن ثمود، وقيل أسف بن كماشج[9] بن إرم[10] بن ثمود يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، ﴿**فَقَالُوا: يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا**﴾ الآية[11]؛ وكان الله قد أطال أعمارهم، حتى إن كان أحدهم يبني البيتَ من المَدَر فينهدم وهو حيّ، فلمّا رأوا ذلك اتّخذوا من الجبال بيوتاً فارِهين فنحتوها، وكانوا في سَعَةٍ من معايشهم، ولم يزل صالح يدعوهم، فلم يتبعه منهم إلاّ قليل مستضعَفون، فلمّا ألحّ عليهم بالدّعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا: يا صالح اخرج

---

(١) في الطبعة الأوربية «وانها التمرين».
(٢) الطبري ١/٢٢٥ وفي النسخة (ر): «مائة وستة وخمسين».
(٣) الأحقاف/٢٥.
(٤) الحاقّة/٦.
(٥) الطبري ١/٢٢٥، ٢٢٦.
(٦) في النسخة (ب): «تكبروا».
(٧) في النسخة (ب): «ما شيج»، وفي تاريخ الطبري «ماسخ».
(٨) في تاريخ الطبري «خادر».
(٩) في النسخة (ب): «كماشيج»، والنسخة (ر) «كاشج». والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٢٦.
(١٠) في طبعة صادر «اروم»، والتصويب عن الطبري.
(١١) هود/٦٢.

معنا إلى عيدنا، وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم، فأرِنا آيةً فتدعو إلٰهك وندعو آلهتنا، فإنِ استُجيب لك اتّبعناك، وإنِ استُجيب لنا اتّبعتَنا. فقال: نعم، فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم، فدعوا أصنامهم أن لا يستجاب لصالح ما يدعو به، وقال له سيّد قومه: يا صالح أخْرِجْ لنا من هذه الصخرة ـ لصخرةٍ منفردةٍ ـ ناقةً جَوْفاء عشراء، فإن فعلتَ ذلك صدّقناك.

فأخذ عليهم المواثيق بذلك، وأتى الصخرةَ وصلّى ودعا ربّه عزّ وجلّ، فإذا هي تتمخّض كما تتمخّض الحاملُ، ثمّ انفجرت وخرجت من وسطها الناقةُ كما طلبوا وهم ينظرون، ثمّ نتجت سقباً مثلها في العِظَم، فآمن به سيّد قومه، واسمه جندع بن عمرو[1]، ورهطٌ من قومه، فلمّا خرجتِ الناقةُ قال لهم صالح: ﴿**هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ**﴾[2]، ومتى عقرتموها أهلككم الله. فكان شُرْبها يوماً وشربهم يوماً معلوماً، فإذا كان يوم شربها خلّوا بينها وبين الماء، وحلبوها لبنها، وملأوا كلّ وعاء وإناء، وإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء، فلم تشرب منه شيئاً، وتزوّدوا من الماء للغد.

فأوحى الله إلى صالح أنّ قومك سيعقرون الناقة، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنّا لنفعل. قال: إلّا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها، قالوا: وما علامته؟ فوالله لا نجده إلّا قتلناه! قال: فإنّه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر. قال: فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب[3] له عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤاً، فزوّج أحدهما ابنه بابنة الآخر، فولد بينهما المولود، فلمّا قال لهم صالح إنّما يعقرها مولود فيكم، اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهنّ شُرَطاً يطوفون في القرية، فإذا وجدوا امرأة تلِد نظروا ولَدها ما هو، فلمّا وجدوا ذلك المولود صرخ النِّسْوة وقُلْن: هذا الذي يريد نبيّ الله صالح، فأراد الشّرَطُ أن يأخذوه، فحال جدّاه بينهم وبينه وقالا: لو أراد صالح هذا لقتلناه. فكان شرّ مولود وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الأرض ولا يُصلحون، كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفاً أن يكون عاقر الناقة منهم، ثمّ ندِموا فأقسموا ليقتلُنَّ صالحاً وأهله وقالوا: نخرج فترى الناس أنّنا نريد السفر، فنأتي الغارَ الذي على طريق صالح فنكون فيه، فإذا جاء اللّيل وخرج صالح إلى مسجده قتلناه، ثمّ رجعنا إلى الغار، ثمّ انصرفنا إلى رِحالنا وقلنا ما شهدنا قتْله، فيصدّقُنا قومه. وكان صالح لا يبيت[4] معهم، وكان يخرج إلى مسجد له

---

(١) في النسخة (ب): «عروة».

(٢) الشعراء/١٥٥.

(٣) في النسخة (ر)، والطبري ١/٢٢٨ «يرغب».

(٤) في النسخ الأخرى غير الأصل: «ينام».

يُعْرف بمسجد صالح فيبيت فيه، فلمّا دخلوا الغار سقطت عليهم صخرةٌ فقتلتهم، فانطلق رجالٌ ممّن عرف الحال إلى الغار فرأوهم هلكى، فعادوا يصيحون: إنّ صالحاً أمرهم بقتل أولادهم ثمّ قتلهم.

وقيل: إنّما كان تقاسم التسعة عل قتْل صالح بعد عقر الناقة وإنذار صالح إيّاهم بالعذاب، وذلك أنّ التسعة الذين عقروا الناقة قالوا: تعالوا فلنقتل صالحاً، فإنْ كان صادقاً عجّلنا قتْلَه، وإنْ كان كاذباً ألحقناه بالناقة، فأتوه ليلاً في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا، فأتَى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح: أنتَ قتلتهم، وأرادوا قتله، فمنعهم عشيرته وقالوا: إنّه قد أنذركم[1] العذاب، فإنْ كان صادقاً فلا تزيدوا ربَّكم غضباً، وإنْ كان كاذباً فنحن نسلّمه إليكم، فعادوا عنه؛ فعلى القول الأوّل يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة، والثاني أصحّ، والله أعلم.

وأمّا سبب قتل الناقة فقيل: إنّ قُدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر، فلم يقدروا على ماء يمزجون به خمرهم لأنّه كان يوم شرب الناقة، فحرّض بعضهم بعضاً على قتْلها.

وقيل: إنّ ثموداً كان فيهم امرأتان، يقال لإحداهما قَطام وللأخرى قَبال[2]، وكان قُدار يهوى قَطام، ومِصْدع يهوى قَبال ويجتمعان بهما، ففي بعض الليالي قالتا لقُدار ومِصْدع: لا سبيل لكما إلينا حتى تقتلا الناقة، فقالا: نعم، وخرجا وجمعا أصحابهما، وقصدا الناقة وهي على حوضها، فقال الشقيّ لأحدهم: اذهب فاعقرْها، فأتاها، فتعاظمه ذلك، فأضرب[3] عنه، وبعث آخر فأعظم ذلك، وجعل لا يبعث أحداً إلّا تعاظمه قتْلُها، حتى مشى هو إليها فتطاول فضرب عرقوبها[4]، فوقعت تركض، وكان قتْلُها يوم الأربعاء، واسمه بلغتهم جبّار، وكان هلاكهم يوم الأحد، وهو عندهم أوّل، فلمّا قُتلت أتَى رجل منهم صالحاً فقال: أدرك الناقة فقد عقروها، فأقبل وخرجوا يتلقّونه يعتذرون إليه: يا نبيّ الله إنّما عقرها فلان إنّه لا ذنب لنا! قال: انظروا هل تدركون فصيلها؟ فإنْ أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب. فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمّه تضطرب قصد جبلاً يقال له القارة قصيراً[5] فصعده، وذهبوا يطلبونه[6]، فأوحى الله إلى الجبل فطال في

(١) في النسخ الأخرى غير الأصل: «وعدكم».
(٢) قيل اسم إحداهما «عنيزة» والأخرى «صدوف». (مرآة الزمان ١/٢٦٤).
(٣) في الطبقة الأوربية «فأصرّت»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٢٩.
(٤) في تاريخ الطبري ١/٢٣٠ «عرقوبيها».
(٥) في النسخة (ب): «قصراً».
(٦) في النسخة (ر): «فصعدوا وذهبوا ليأخذوه».

السماء حتى ما يناله الطير، ودخل صالح القرية، فلمّا رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثمّ استقبل صالحاً فَرَغَا ثلاثاً، فقال صالح: لكلّ رغوة أجل يوم ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1]، وآية العذاب أنّ وجوهكم تصبح في اليوم الأوّل مُصْفَرَّةً، وتصبح في اليوم الثاني مُحْمرَّةً، وتصبح في اليوم الثالث مُسْوَدَّةً. فلمّا أصبحوا إذا وجوههم كأنّما طُلِيت بالخَلوق، صغيرُهم وكبيرُهم، ذَكَرُهُم وأنثاهم، فلمّا أصبحوا في اليوم الثاني إذا وجوههم محمرَّة، فلمّا أصبحوا في اليوم الثالث إذا وجوههم مُسْوَدَّةٌ كأنّما طُليت بالقار، فتكفّنوا وتحنّطوا، وكان حَنوطهم الصّبر والمرّ، وكانت أكفانهم الأنطاع، ثمّ ألقوا أنفسهم إلى الأرض، فجعلوا يقلّبون أبصارهم إلى السماء والأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلمّا أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحةٌ من السماء، فيها صوت كالصاعقة، فتقطّعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[2]، وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم، إلاّ رجلاً كان في الحَرَم فمنعه الحرم.

قيل: ومن هو؟ قيل: هو أبو رِغال، وهو أبو ثقيف في قول[3].

ولما سار النبيّ، ﷺ، إلى تبوك أتى على قرية ثمود فقال لأصحابه: «لا يدخلنّ أحد مِنكم القريةَ ولا تشربوا من مائها»، وأراهم مُرْتَقَى الفصيل في الجبل، وأراهم الفَجَّ الذي كانت الناقة ترِد منه الماء[4].

وأمّا صالح، عليه السلام، فإنّه سار إلى الشام فنزل فلسطين، ثمّ انتقل إلى مكّة فأقام بها يعبدُ الله حتى مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وكان قد أقام في قومه يدعوهم عشرين سنة[5].

وأمّا أهل التوراة فإنّهم يزعمون أنّه لا ذِكر لعاد وهود وثمود وصالح في التوراة، قال: وأمرهم عند العرب في الجاهليّة والإسلام كشهرة إبراهيم الخليل، عليه السلام.

قلتُ: وليس إنكارهم ذلك بأعجب من إنكارهم نبوّة إبراهيم الخليل ورسالته، وكذلك إنكارهم حال المسيح، عليه السلام.

---

(١) هود/٦٥.
(٢) هود/٦٧.
(٣) أنظر الطبري ١/٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، مرآة الزمان ١/٢٦٥.
(٤) الطبري ١/٢٣١.
(٥) الطبري ١/٢٣٢، مرآة الزمان ١/٢٦٦.